الثقافة الإسلامية ودورها في التآلف والتنمية الوطنية

Islamic Culture and its Role in the National Integration and Development

إعداد/

الدكتور عبد الوهاب عبد القادر إبراهيم

Dr. Abdul Wahab Abdul Qadir Ibrahim

Abstract

The title of this article is:" **Islamic Culture and its Role in the National Integration and Development**". The word "culture" literally means: ideas, beliefs and customs that are shared and accepted by people in a society; which assist in getting people together morally and spiritually. From this background, Islamic culture plays a big role in spreading civilization among mankind because of its comprehensiveness, divine origin, universal message, balance and practicality in nature. By ways of teaching good morality like telling truth, respect to the elderly people and compassion to the little ones, way of dressing, ways of greeting and so many other natural dispositions. On the other way round, it prohibits vice: telling lies, back biting, slandering and many other bad characters. The Islamic Study teacher needs to equip himself with complete Islamic culture and civilization and thereafter work hardly to spread this culture and civilization among the people.

ملخص المقالة:

"الثقافة الإسلامية ودورها في التآلف والتنمية الوطنية" الثقافة لها دور كبير في تآلف الأمة وتقارب بعضها مع بعض,وكلمة الثقافة في معناها العام: مجموعة من المعارف والأفكار الإنسانية الواسعة التي تهيّئ للمرء أسباب مؤالفة الطبيعة للحياة الاجتماعية ومؤالفة القيم الروحية والأخلاقية. فمن هذا المنطلق ندرك أن الدين الإسلامي قد قام بدور فعّال في نشر الثقافة الإنسانية الهادفة الموجهة للبشرية إلى التآلف والتعاون الإنساني والوطني. فالثقافة الإسلامية هي: مجموعة من المعارف والقيم التي تنبعث من أصول العلوم الإسلامية الكبرى وفروعها, وتفاعلها مع البيئات, ودراسة التصوّرات الكلية والتحديات المتعلقة بالإسلام والمسلمين وما يحيط بهم على مر الأزمنة، بمنهجية شمولية, التى من

الثقافة العامّة:

وأمّا الثقافة في معناها العام, حسب ما ذكره الباحثون المعاصرون: فهي مجموع العقائد والقيم والقواعد التي يقبلها ويمتثل لها أفراد المجتمع. وذلك أن الثقافة هي قوة وسلطة موجهة لسلوك المجتمع، وتحدد لأفراده تصوراتهم عن أنفسهم وعن العالم حولهم، وتحدد لهم كذلك ما يحبون وما يكرهون، ما يرغبون فيه وما يرغبون عنه، كنوع الطعام الذي يأكلون، ونوع الملابس التي يرتدون، والطريقة التي يتكلمون بها، والألعاب الرياضية التي يمارسونها، والأبطال التاريخيين الذين خلدوا في ضمائرهم، والرموز التي يتخذونها للإفصاح عن مكنونات أنفسهم، ونحو ذلك[10].

يمكن إستنتاج بعض الأمور من هذا التعريف حسب الآتي:

1- أن الثقافة ذات نمو تراكمي على المدى الطويل: بمعنى أن الثقافة ليست علوماً أو معارفًا جاهزة يمكن للمجتمع أن يحصل عليها ويستوعبها ويتمثلها في زمن قصير، وإنما هي ما تتراكم عبر مراحل طويلة من الزمن.

2- وأنها تنتقل من جيل إلى جيل عبر التنشئة الاجتماعية: فثقافة المجتمع تنتقل إلى أفراده الجدد عبر التنشئة الاجتماعية، حيث يكتسب الأطفال خلال مراحل نموهم الذوق العام لثقافة مجتمعهم وبيئاتهم التي ترعرعوا فيها.

3- وأنها ذات طبيعة جماعية: أي أنها ليست صفة خاصة للفرد وإنما هي للجماعة، حيث يشترك فيها الفرد مع بقية أفراد مجتمعه، وتمثل الرابطة التي تربط جميع أفراده.

يقول الباحث الآخر في تعريف الثقافة العامة بأنها: "هي الثقافة الإنسانية الواسعة التي تهيئ للمرء أسباب مؤالفة الطبيعة، ومؤالفة الحياة الاجتماعية ومؤالفة القيم الروحية."[11]

وأمّا الثقافة الإسلامية: فقد ذُكر لها عدد من التعريفات نظرًا لسعة مجالاتها وميادينها. ويكفينا منها هنا ما يأتي ذكره:

فالثقافة الإسلامية هي: (مجموعة من المعارف والأفكار والقيم التي تنبعث من العلوم الإسلامية الكبرى كالعقيدة والتفسير والفقه والحديث، التي تفاعلت مع البيئات الإسلامية على مر الأزمنة فتكوّن منها تاريخ طويل)[12].

وقيل هي:(علم دراسة التصورات الكلية والمستجدات والتحديات المتعلقة بالإسلام والمسلمين، بمنهجية شمولية مترابطة)[13].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[5].

فالمدرس الإسلامي الذي يتصدّى لمهمة التعليم والتثقيف لابُدّ له - لكي ينتصر في جهوده التثقيفية على الجهل والهوى والفساد – لابُدّ له أن يتسلّح ببعدد من الأمور والتي تتناول هذه الورقة بعضًا منها فيما يأتي.

وتشتمل الورقة على العناصر الرئيسية الآتية:

- **الأول:** التعريف بمفردات موضوع المقالة.
- **الثاني:** دور الثقافة الإسلامية فى التآلف بين أفراد الأمّة الوطنيّة.
- **الثالث:** زاد المعلم الإسلامي من الثقافة الإسلامية.

وبيان كل منها حسب التالى :

العنصر الأول: التعريف بمفردات موضوع المقالة:

يقتصر التعريف هنا على كلمات: (الثقافة, التآلف, والتنميّة الوطنية). ولكن قبل الدخول في ذكر تعريف هذه المفردات يكون مناسبًا ذكرُ تعريف موجز للدين، وأن المقصود منه عند الاطلاق هو: الدين اللإسلامي، وذلك في الآتي:

الدين: حسب تعريف عدد من العلماء له، ومنهم الشريف الجرجاني، ذكروا بأن الدين هو: "وضع إلهي يرشد إلى الحق من الاعتقادات والخير فى السلوك والمعاملات".[6]

والمقصود به هنا هو: الدين الإسلامي، وهو الدين عند الله تعالى, الّذي لا يقبل الله غيره، وهو عبارة عن مجموعة من الاعتقادات والعبادات والمعاملات الّتي أرسل الله بها أنبياءه ورسله من لدن آدم ونوح (عليهم الصلاة والسلام)، إلى آخرهم وخاتمهم محمد ﷺ. **ويطلق هذا الدين خصوصًا:** على ما أرسل الله به نبيّه ورسوله محمد بن عبد الله ﷺ من الاعتقادات والعبادات والشرائع والمعاملات وغير ذلك مما أمره الله تعالى أن يبلغه للناس وللجنّ أجمعين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾[7] وقال تعالى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[8] وقال تعالى:﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾[9]

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[16] وقال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[17].

(ب) . ومن ناحية ما تتمتّع به الثقافة الإسلامية من الخصائص والمميّزات، حسب الآتى ذكرها:

تمتاز الثقافة الإسلامية بخصائص متعددة، وتتميّزها عن غيرها من الثقافات الأخرى، تبرز أهميتها ودورها في بناء المجتمع المسلم، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، ونجاحها في مواجهة التحديات والمستجدات في كل عصر وقطر. فمن أهم هذه الخصائص:

أولاً: ربانية المصدر: فكلمة ربانية منسوبة إلى الرب سبحانه وتعالى، بمعنى أن مصدرها الرئيسي من الله تعالى، حيث أن مصدرها هو الشريعة الإسلامية المتمثلة في الكتاب والسنة، وكلاهما من عند الله عز وجل؛ وذلك أن الكتاب هو كلام الله تعالى، والسنة كذلك وحي من الله لرسوله، قال الله تعالى في معرض التزكية والثناء لرسوله الكريم: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[18]. ولهذا فإن الثقافة الإسلامية تختلف عن غيرها من الثقافات الأخرى القائمة على أسس وأنظمة وضعية عَلمانية، البعيدة عن الأسس الدينية والإيمانية والأخلاقية في بنيتها وتطبيقها، حيث أنها مبنية على التصورات البشرية القاصرة المحدودة العاجزة[19].

ثانياً: عالمية الرسالة: إن من أبرز خصائص الثقافة الإسلامية أنها رسالة عالمية, ليست قاصرة على قطر دون قطر, ولا على مجتمع دون مجتمع, قال تعالى:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[20], وهي رسالة تدعو إلى الوحدة الإنسانية، التي تذوب معها الفوارق القومية والعرقية، وتتلاشى بها الفواصل الطبقية, فلا تفاضل بين البشر تحت هذه الثقافة إلا بالهدى والتقى، قال الله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[21], فلهذا ذم النبي صلى الله عليه وسلم مَنْ تفاخر بالأحساب والأنساب ودعا إلى العصبية, حسب ما ورد في حديث الصحابي: جندب بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:"من قُتل تحت راية عُمِّيَّة يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلته جاهلية" أخرجه مسلم في صحيحه[22].

ومن أكبر وأوضح الأدلة الواقعية على عالمية رسالة الإسلام وثقافته: أن الذين أسهموا في نشرها وتوطيدها فى العصور السالفة كانوا مسلمين على اختلاف بلدانهم وأقطارهم ولغاتهم.

نستنتج من هذين التعريفين عدة أمور منها:

أولاً: أن الثقافة الإسلامية شاملة لجميع التصورات والموضوعات الدينية والقيم الأخلاقية والسلوكية، القديمة والمعاصرة، والتحديات المتعلقة بها.

ثانياً: أن تسمية هذا العلم بعلم الثقافة الإسلامية أمر جديد لم يُعرف عند السلف، لهذا تباينت آراء العلماء المعاصرين والمفكرين في تعريفه، نتيجة لاختلاف اتجاهاتهم وتصوراتهم.

ثالثاً: أن الثقافة الإسلامية علم أوجدته الأحداث والمستجدات والتحديات والدراسات المعاصرة، خاصة بعد الهجمة الشرسة التي تعرض لها العالم الإسلامي.

وفي القرآن الكريم والآحاديث النبويّة بعض من النصوص تؤكد تنوع تجارب البشر وعدم احتقار الآخرين لمجرد الاختلاف في الآراء والأجناس ونحو ذلك، قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ [سورة الحجرات:13]. وقد صارت الثقافة الإسلامية غنية بفعل الاحتكاك بالشعوب المختلفة وتبادل الأفكار معها، وأخذ ما عندها من الحق حتى ولو جاء ذلك الحق من عند غير المسلمين. ولقد قبلت الشعوب المسلمة عقيدة الإسلام واحتفظت ببعض عاداتها وتقاليدها التي لا تخالف الإسلام وإن كانت تلك العادات لا تتفق مع عادات شعوب إسلامية أخرى ولا تقاليدها. وتلك هي رحابة الإسلام وسماحته التي ضمت الجميع[14].

<u>**وأمّا التآلف**</u>: فهو من كلمة (ألَف)، بمعنى: جمّع وقرّب وضمّ بعضًا إلى بعضٍ[15]. والمراد به هنا هو: التحابب والتقارب والتضامن بين أفراد الأمّة الوطنيّة على البرّ والتقوى وعمل خير.

<u>**والتنمية الوطنية**</u>: بالإضافة إلى معناها المادي والحسّي الذى هو التقدم والتطور، فإنّ المقصود منها هنا هو: تنمية وتطوير أفراد الأمّة الوطنيّة وتحسينهم روحيًا واجتماعيًا وأخلاقيًا واقتصاديًا، وغير ذلك من الجوانب المتعددة في حياة الإنسان، مما يتناسب مع كرامتهم ومنزلتهم الإنسانيّة.

العنصرالثانى: دور الثقافة الإسلامية فى التآلف بين أفراد الأمّة الوطنيّة:

للثقافة الإسلامية دور كبير فى تحقيق التآلف والتحابب والتقارب بين أفراد الأمّة الوطنيّة وجماعاتها، **وذلك من حيثيات متعددة، منها:**

(أ) . أنّ أمة الإسلام خير أمة أُخرجت لإصلاح كافة شؤون الناس، ولتنقل ركناً مهمًّا من أركان الثقافة إلى الإنسانية والعالم بأسره، قال الله تعالى عن هذه الأمّة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

سادساً: الاستمرارية في كافة شؤونها: فهي ثابتة ومستمرة، لأنها قامت على العقيدة الإسلامية الراسخة، وهي عقيدة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ولا تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة. وهي مع ذلك مرنة لا تقف جامدة أمام الحوادث والمستجدات، بل تتعامل مع القضايا الطارئة في كل عصر وفي كل مجتمع، لهذا فإنها تبعث الطمأنينة في حياة الفرد والمجتمع، وهي مع ذلك لا توافق تشابه ثقافت أخرى التي تتردد وتتغير حسب الأهواء والأجواء والمصالح الفردية. فقد ختم الله تعالى بالإسلام الشرائع والرسالات السماوية، وأودع في الإسلام عنصر الثبات والخلود والمرونة والتطور معاً، وهذا سر من أسرار صلاح هذه الثقافة لكل زمان ومكان[33]، قال تعالى:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾[34].

(ج) . ومن حيث ما ترشد إليه الثقافة الإسلاميّة وتدعو إلى تطبيقه من التوجهات الرشيدة النيّرة، من ناحية الأمر بالخير والصلاح، والنهي عن الشرّ والفساد والسيّئات:

وذلك أن الثقافة الإسلامية بعد أن قامت بتعليم الناس وتربيتهم تربيةً روحيةً وإيمانيةً، قامت كذلك بتعليمهم جملةً من الآداب الاجتماعية وآداب المعاملات فيما بينهم، كما نهتهم وزجرتهم عن جملةٍ أخرى من الأخلاق الرذيلة، فهذا يُعتبر قيَمُ أخلاقية واجتماعية عالية ليس لها مثيل في أيّ نظام ولا في أيّة ثقافة من الثقافات الأخرى. وفيما يأتي: ذكر بعض هذه التوجهات تحت الثقافة الإسلامية - على سبيل المثال لا الحصر - من كلا الجانبين: الأوامر والنواهي حسب الآتي:[35]

الأمر بمكارم الأخلاق والآداب الاجتماعية:

قد أمر الإسلام بعدد كثير من أنواع مكارم الأخلاق وكثير من الآداب الاجتماعية لتثقيف الناس وحملهم على ما يسبب التآلف والتحابب والتعاون فيما بينهم، ولا سبيل – في هذه المقالة – لحصر هذه الأخلاق الكريمة التي أمر بها الإسلام، ولكن منها على سبيل المثال: الصدق، والأمانة، والعدل، وصلة الرحم، وبر الوالدين، وحسن تربية الأولاد، والإحسان إلى الناس جميعا، والرفق والرحمة بالصغار والضعفاء، وحتى بالحيوانات، وإفشاء السلام قولا وعملا، وتوقير واحترام الكبار والرؤساء، والتعاون على البر والتقوى والخير، وكثير من الآداب الاجتماعية المتعددة، كآداب اللباس، والأكل والشرب، وآداب التحية والسلام، وآداب الاستئذان، وغير ذلك من هذه التوجهات القيّمة.

فهناك من الصحابة الأوائل: سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي، وغيرهم من الصحابة الكرام، رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وكذلك فيمن جاء بعدهم من العلماء الإسلاميين من البلدان والأقطار الإسلامية المختلفة في كل عصر من العصور، فهي عالمية لأنها تلائم فطرة الإنسان في كل زمان وفي كل مكان دون أيّ تصنيف أوتفريق.

ثالثاً: شمولية المنهج: وذلك لأنها شاملة لجميع جوانب الحياة، قال تعالى: ﴿ ...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[23]. ولقد استطاعت الثقافة الإسلامية أن توافق بين روح الإنسان وجسده، وبين فرديته وجماعته، بل بين دنياه وأخرته، فلا تشطر سريرته وحياته أشطاراً مختلفة، كما هو الحال في الثقافات الأخرى[24]، قال تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[25]. فمن أسس الإسلام في التطبيق: الشمولية والكمالية، بمناهجه وأنظمته المتعددة، سواء في العقيدة أو الشريعة أو نحوها ذلك من أنظمة الحياة البشرية[26].

رابعاً: وسطية الطبيعة: وذلك في تجسيدها للعقيدة والشريعة، وفي نظرتها للفرد والمجتمع، وفي فهمها للواقع ومتطلباته، فلا إفراط ولا تفريط، وذلك لأنها وحي من الله تعالى اللطيف الخبير، العليم بما يصلح ويناسب عباده، وأساسها القرآن الكريم الذي يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل، قال تعالى:﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[27]. فسمة الإسلام الأساسية هي التوازن والاعتدال في كل نواحي الحياة: الاعتدال بين حقوق الجسد وأشواق الروح، وبين مطالب الدين والدنيا[28]. وقال تعالى:﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[29].

خامساً: واقعية التطبيق: وذلك أنها تتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي الثابت، لا مع تصورات عقلية مجردة، ولا مثاليات لا وجود لها في عالم الواقع[30]. ولهذا نجد الواقعية في التشريع الإسلامي، فقد راعى الإسلام ظروف الناس وحياتهم واحتياجاتهم المعيشية، ورفع عنهم المشقة والحرج، بل جعل المشقة تجلب التيسير، كما راعى فطرتهم وطاقتهم فلم يكلفهم من العمل ما لا يطيقون، لأن شرط التكليف القدرة على فعل المكلف به، فما لا قدرة للمكلف عليه لا يصح التكليف به شرعاً[31]. ونجد الواقعية أيضاً في الأخلاق والعقيدة وسائر المعاملات الاجتماعية، قال تعالى:﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[32].

والهلاك (والعياذ بالله)، فلهذا حرّم الإسلام ونهى عن هذه الأخلاق السيئة كلها، وذلك في النصوص الكثيرة أيضا من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح.

فمن القرآن: قول الله تعالى:﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[43] وقال تعالى:﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً, كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾[44] ونحو ذلك من الآيات فى هذا الخصوص.

ومن الأحاديث: قول النبيّ ﷺ " لا تباغوا ولا تحاسدوا ولا تدابرو ولا تقاطعوا, وكونوا عباد الله إخوانًا, فلا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث." رواه البخاري[45].

ولا شك أنّ الامتثال والعمل بهذه الأوامر والتوجيهات الإلهية والنبويّة فى تعليمنا مكارم الأخلاق وزجرنا عن رذائلها يؤدى بنا- نحن البشر- إلى التآلف الوطني المنشود، والتقارب والتعاون بين أفراد المجتمع الوطني، فيُسهِمُ كلٌ منهم فى التنمية الوطنية حسب المطلوب, ثم يوصّلنا إلى السعادة الأبدية.

العنصر الثالث والأخير: زاد المعلم الإسلامي من الثقافة الإسلامية:

وبالنسبة للمعلم الإسلامي الذي يقوم بتدريس مواد الدراسات الإسلامية فإن مهنته التدريسي تعتبر من أوائل المهن التي تحتاج إلى ثقافة عامة واسعة، فهي تُهذِّب روحه، وتقوّم سلوكه وخلقه، وتنمّي عقله ومهارته، وتهذّب ذوقه الفني، وتكشف عما لديه من استعدادات فنية وقدرات إبداعية, وذلك بعد أن يتعرّف على أصول عقيدته وأحكام دينه. فلتزوُّد المعلم الإسلامي بالثقافة العامة، فعليه أن لا يدع فناً من فنون العلوم المحمودة المفيدة، ولا نوعاً من أنواعها إلّا وينظر فيه - علي قدر الإمكان - نظراً يطلعه على مقصده وغايته، ثم إن ساعده العمر ظل يتبحر فيه, وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية، فإن العلوم متفاوتة، وبعضها مرتبط ببعض, حسب ما أشار إليه الإمام الغزالي في إحيائه.[46]

وعليه كذلك أن يكون له إلمام جيّد بسيرة سلفنا الصالح وتاريخ أمتنا وبلداننا الإسلامية, وبمجريات الأحداث في الماضي والحاضر، ويتمكّن من استخلاص الدروس والعبر والعظات من التاريخ، واكتشاف الأسباب العميقة التي تكمن وراء الأحداث الماضية ليستفيد منها في الحاضر والمستقبل، كما تمكّنه أيضاً من الالمام بمشكلات مجتمعه وأمته والعالم الذي يعيش فيه، ومن تقويم لسانه الفنية وغيرها، كل ذلك في إطار الأخلاق والعقيدة الإسلامية[47].

وقد وردت نصوص كثيرة من القرآن والسنة في الأمر والتوجيه بهذه المكارم الأخلاقية المذكورة وغيرها، فمنها: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[36] وقول تعالى:﴿وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورا﴾[37] ، وغير ذلك من الآيات القرآنية في هذا لصدد.

ومن الأحاديث: قول النبي ﷺ:{إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق}رواه البهقي وغيره[38]، وقوله ﷺ:{ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا} رواه أحمد[39]، وقوله ﷺ:{لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتم تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم} رواه أبو داود[40]، وقوله ﷺ: {إياكم والجلوس بالطرقات}، قالوا يا رسول الله ما لنا بدّ من مجالسنا نتحدث فيها: قال:{فإذا أبيتم فأعطوا الطريق حقه}، قالوا: وما حقه؟ قال: {غض البصر ـ أى كفّه عن النظر إلى المحرمات ـ وكف الأذى ـ منعه ـ ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر} رواه البخاري[41].

وقد نظم الإمام ابن حجر- رحمه الله تعالى- أبيات شعرية، جمع فيها هذه التوجيهات النبوية الواردة في الجلوس على الطريق، وأوصلها إلى ثلاثة عشر توجيها, ومطلعها[42]:

جَمَعْتُ آدَابَ مَنْ رَامَ الْجُلُوسَ عَلى ... الطَّرِيقِ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْخَلْقِ إِنْسَانًا

أَفْشِ السَّلاَمَ وَأَحْسِنْ فِي الكَلاَمِ ... وَشَمِّتْ عَاطِسًا وَسَلاَمًا رُدَّ إِحْسَانًا

فِي الْحَمْلِ عَاوِنْ وَمَظْلُومًا أَعِنْ وَأَغِثْ ... لَهْفَانَ اِهْدِ سَبِيلاً وَاهْدِ حَيْرَانَا

بِالعُرْفِ مُرْ وَانْه عَن نُكرٍ وَكُفَّ أَذَى ... وَغُضَّ طَرْفًا وَأَكْثِرْ ذِكْرَ مَوْلاَنَا

النهي عن رذائل الأخلاق والإفساد بين الناس:

وكذلك نهي الإسلام وزجر عن جميع أخلاق ذميمة وسيئة, وسلوك منحرف, وكل ما يسبب التباغض والتباعد والكراهية بين أفراد المجتمع والأمة الوطنية، فعلى سبيل المثال: نهى الإسلام عن الكذب، والخيانة، والتكبر، والحسد، والحقد، والظلم، والغيبة، والنميمة, والسخرية والاستهزاء، وغير ذلك من هذه الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي تفتك بالمجتمع الوطني, وتفرق شمله, وتوقع بينهم العداوة والبغضاء والكراهية، ثم تؤدي بهم إلى الشقاوة

تفاصيلها لضيق المجال، وقد فصل في ذلك الدكتور يوسف القرضاوي في بعض كتاباته [53].

ومن هذه الثقافات:

- الثقافة بالعلوم الإسلامية، الثقافة التاريخية، الثقافة اللغوية والأدبية، الثقافة الإنسانية، الثقافة العلمية الكونية، وثقافة الواقعة المعاصرة، وغير ذلك من الثقافات المفيدة.

وعلى رغم ضيق المجال في هذه العجالة (في هذه الورقة) فإنه ينبغي التعرض بنذكر شيءٍ مما يجب أن يبدأ به المعلم الإسلامي في تثقفه بالثقافة الإسلامية, وبيان طرق اكتسابها, وعلى الأخص: التركيز على مصدرها الأول: هو القرآن الكريم، ثمّ أو مع مصدرها الثاني: السنة النبوية المطهرة, فذكر شيءٍ من ذلك كان من باب الحكمة التي تقول: (ما لا يُدرك كلُّه لا يُترك جلُّه), وذلك حسب الآتي:

التثقيف بالثقافة الإسلامية: إنّ أول ما يلزم المعلم الإسلامي من العُدَّة الفكرية حينما يتصدى لتعليم الأمة هو: أن يتسلّح بمعرفة ثقافة إسلامية صحيحة, ثابتة الأصول، باسقة الفروع، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربّها. وأوّل ما يجب عليه أن يعرفه من الثقافة الإسلامية: الأصل الأصيلي والمصدر الأساسي لهذه الثقافة, وهو القرآن الكريم، ثم السنّة النبوّية الصحيحة المطهرة.

فمما يجب عليه أن يعرفه فيما يتعلق بالقرآن الكريم: أن يعلم بأن القرآن هو أصل لجميع التعاليم الإسلامية, سواء منها ما يتعلق بالعقائد والمفاهيم والقيم، أو ما يتعلق بالعبادات والأخلاق والشرائع وغير ذلك، قد وضع الله تعالى أصول ذلك كلها في القرآن الكريم، وجاءت السنة النبوية الشريفة ببيانها قولا وعملا وتطبيقا، قال الله تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾" [54].

كما يجب عليه كذلك أن يعرف خصائص القرآن الكريم, ومنزلته الرفيعة ومكانته العالية، وبأنه كلام الله تعالى رب العالمين. **فمن هذه الخصائص:** التيسير, والخلود, والشمول, والإعجاز البياني والموضوعي والعلمي والتشريعي, وغير ذلك من الخصائص العالية لهذا الكتاب المجيد [55].

وأما بالنسبة للسنة: فهي المصدر الثاني للثقافة الإسلامية التى على المعلم معرفتها، فهو في حاجة ملحة إلى العلم بالسنة النبوية الشريفة في جوانبها المهمة للتشريع الإسلامي، حيث إن السنة الصحيحة هي الشارحة والمبيّنة لكلام الله قولا وعملا, قال الله تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ

فالمدرس الإسلامي عليه أن يتزوّد ببعض الأمور المهمة لتثقيف نفسه، نذكر منها ثلاثة، وهي[48]:

- أولها: **الإيمان الراسخ بالله تعالى**، فالإيمان هو السلاح القوي لكل مسلم، فبدونه يبطل كل سلاح وتفشل كل جهود، وليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقّه العمل.

- وثانيها: **الأخلاق الكريمة**، وهي من لوازم الإيمان الحق وثماره، فأكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا، كما قال رسول الله ﷺ: {أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا} رواه أبو داود[49].

وقد وصف الله تعالى سيد الدعاة والمعلمين محمد ﷺ بخلق عظيم، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[50]، وخاطبه الله تعالى بقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[51].

- وثالثها: **العلم والثقافة**، فهذه هي العدة الفكرية للمدرس الإسلامي بعد العدة الروحية والأخلاقية، فلا بد أن يكون لديه القدر الكافي من العلم والثقافة، العلم الذي يبذله لغيره من أفراد الأمّة الوطنيّة، فمن لم يكن عنده علم ولا ثقافة كيف يعطي غيره، وفاقد الشيء لا يعطيه.

ومما ينبغي التنبه إليه فيما يتعلق بتزوده بسلاح الإيمان: أنّ المعلم الإسلامي يجب عليه أن يتلقى التربية الإيمانية والأخلاقية الصحيحة في ثلاثة مجالات مهمة، وهي على سبيل الإجمال، كما أشار إلى ذلك أحمد فريد:[52]

<u>الأول</u>: **المجال العلمي**، ويقصد به التربية على العقيدة الصحيحة والتربية الفكرية المفيدة، ومعرفة السنن النبوية والأخلاق المصطفوية، وفي كل ذلك يحتاج إلى العلم الراسخ.

<u>الثاني</u>: **المجال التعبدي**، ويقصد به من الدرجة الأولى التربية الإيمانية بالاهتمام بالصلاة والصيام والصدقة وسائر العبادات التي يرق بها القلب وتزكّى بها النفس.

<u>الثالث</u>: **المجال التعليمي والتثقيفي**، ويقصد به مشاركة الأفراد في تثقيف الأمة الوطنية على حسب حاله وطاقته العلمية.

وهناك عدد من أنواع الثقافات الأخرى التي يحتاج المعلم الإسلامي إلى معرفتها والاطلاع عليها ليكون مثقفًا في مجاله، يأتي ذكر البعض منها على سبيل الإجمال من غير الدخول في

الإسلامي أن يسعى جاهدًا على تحصيل هذه الثقافات الإسلامية لنفسه أولا، ثم نقلها إلى الآخرين من أفراد المجتمع الوطني، وأن يبدأ تحصيل هذه الثقافة من مصادرها الأصلية، التي في مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ثم مواد الثقافة الإسلامية الأخرى .

هذا،ونسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[56]، وغيرها من الآيات الكثيرة الواردة في تنويه عن منزلة السنة في بيان القرآن الكريم. فلا ينبغي للمعلم الإسلامى أن يستهين بشيئ من أمر السنة النبوية, ولا من تعليمها وفهمها.

ويجب على المعلم أن يتنبّه, ويَحْذَر كلَ الحذر من بعض الأمور فيما يتعلق بالسنة, منها:

1- الحذر من الاحتجاج أو الاعتماد على الأحاديث الموضوعة والواهية، لأن من خلال ذلك دخل شرّ عظيم وفساد عريض على هذه الأمة، والله المستعان.

2- الحذر من استعمال الأحاديث في غير محلها، لأن ذلك يعتبر سوء الاستدلال بالأحاديث نتيجة الجهل أو اتباع الهوى.

3- على المعلم الإسلامي: مقاومة حملة المشكّكين في الأحاديث الصحيحة الثابتة باتفاق الأمة، لأنه إذا ثبت الحديث عن النبي ﷺ يجب على المسلم الانقياد والإذعان له، ولو كان يخالف ما عليه وما يعتقده أو تعوّد به، قال الله تعالى في عقاب من خالف السنة الصحيحة والحديث الثابت:﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[57]

وكذلك على المعلم الإسلامي - تحت تثقفه بثقافة العلوم الإسلامية – أن يكون لديه إلمام جيد بمواد الدراسات الإسلامية الريسية, وذلك مثل: **علم الفقه وأصوله**, ويجب عليه الاعتدال في ذلك وعدم الانحراف في دراسته. ومنها: **علم العقيدة**، ويجب أن يكون علمه وتعلّمه في أمور العقيدة على منهج أهل السنة والجماعة، المنهج المنبثق من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ, على فهم السلف الصالح لهذه الأمة الإسلامية. ومنها: **علم النظام الإسلامي** بأشكاله المتنوعة, بما فيها: علم النظام الاجتماعي، والنظام الاقتصادي، والنظام السياسي، والتشريعي، ونحو ذلك. وقد ألّف بعض من العلماء المعاصرين عددا من الكتب المفيدة في هذا المجال[58].

الخاتمة:

فهذا هو القدر الذى تيسّر ذكره وجمعه فى هذه العجالة حول (الثقافة الإسلامية، ودورها في التآلف الوطني). وقد تبيّن خلال هذا العرض الوجيز أن الدين الإسلامي جاء بثقافات متعددة، إذا دُرِسَت هذه الثقافات وطبّقت حق التطبيق، تؤدي بالبشرية إلى الوعي والتآلف والتعاون الذي به تتحقق تنمية المصالح الإنسانية في العاجل والآجل. **فعلى المعلم**

13- باسمة بسام العسلي (د.)، الشخصية الإسلامية المعاصرة، دار الفكر بيروت، ص274. نقلا من الباحث: رائد طلال شعت (أ.)، المذكور سابقاً.

14- محمد أبو يحيى (د.)، الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر، ص5.

15- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 2، 1407هـ. 1987م، ص 1024.

16- سورة آل عمران،الأية110

17- سورة سبأ،الأية 28

18- سورة النجم، الأية 3-4.

19- سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، دار الشروق بجدة، ط 3، 1968م، ص50. نقلا من الباحث: رائد طلال شعت، المذكور سابقاً.

20- سورة الأنبياء،الأية 107

21- سورة الحجرات، الأية 13

22- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، (صحيح المسلم)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (بدون التاريخ)، ج 3/ ص1850.

23- سورة النحل، الأية 89

24- أحمد العيادي،(د.)، المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية ، دار الكتاب الجامعي بالعين، ط 2، 1424هـ – 2004م، ص.44

25- سورة القصص،الأية 77

26- سيد قطب، السلام العالمي والإسلام، دار الشروق بجدة، ط 6، 1982م، ص.13

27- سورة الإسراء،الأية 9

28- يوسف القرضاوي (د.)، العبادة في الإسلام، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 8، 1981م، ص.179

29 - سورة البقرة، الأية 143

30- سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص.190

31- إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة المدني بالقاهرة، ج 2/ص .76

الهوامش والمراجع

1- سورة الأنفال، الآية 63

2- عبد الله ناصح علوان (الدكتور)، سلسلة مدرسة الدعاة، طبع دار السلام، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية 1423 هـ- 2009، جـ 1 ص 13. و يوسف القرضاوي (الدكتور)، ثقافة الداعية، طبع مكتبة وهبة، بالقاهرة، ط 10، 1416هـ- 1996م، ص 4.

3- سورة فصلت، الآية 33

4- سورةالزمر، الآية 9

5- سورة المجادلة، الآية 11

6- الشريف علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلميّة، بيروت . لبنان، ط 3 1408هـ . 1988م، ص 105. ومحمد رواس قلعة جي، وحامد صادق قنيبي . مشتركين . معجم لغة الفقهاء، عربي . إنكليزي، دار النفائس، ط 2، 1408هـ . 1988م، ص 212.

7- سورة آل عمران، الأية 191

8- سورة آل عمران، الأية 85

9- سورة الشورى، الأية 13

10- راجع:ناصر بن سليمان العمر(أ.د)، رسالة المسلم في حقبة العولمة www.almoslim.net، ص 24، (12/ 4/ 2014).

11- جميل صليبا: مستقبل التربية في العالم العربي، ط 1977م، دار غريب،بيروت،ص37. نقلا من الباحث: خالد بن صالح محمد باجحزر(الدكتور)، من بحثه بعنوان: آثار تعليم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع، بحث مقدم للملتقى الثالث للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة، لعام 1427هـ

12- محمد أبو يحيى (د.)، الثقافة الإسلامية ثقافة المسلم وتحديات العصر، دار المناهج بالأردن، ط6، 1426- 2006، ص21. نقلا من الباحث: رائد طلال شعت (أ.)، من بحثه بعنوان: الثقافة الإسلامية في مواجهة الغزو الثقافي، المقدم إلى مؤتمر"الإسلام والتحديات المعاصرة"المنعقد بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في الفترة: 2-2007/4/3م، ص 4 وما بعدها.

48- يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، طبع مكتبة وهبة، بالقاهرة، الطبعة العاشرة 1416هـ- 1996م، ص 4- 5.

49- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، ج 4/ ص 354.

50- سورة القلم، الآية 4

51- سورة آل عمران، الآية 159

52- أحمد فريد، التربية على منهج أهل السنة والجماعة، طبع الدار السلفية للنشر والتوزيع الإسكندرية، والمكتبة التوفيقية، القاهرة – مصر، (بدون التاريخ)، ص 293.

53- يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، ص 5 وما بعدها.

54- سورة النحل، الآية 89.

55- فهد بن عبد الرحمن الرومي، خصائص القرآن الكريم، طبع دار طيبة بالرياض، الطبعة السابعة 1411هـ، ص 18 وما بعدها .

56- سورة النحل، الآية 44

57- سورة النور، الآية 63

58- محمد المبارك، نظام الإسلام الاقتصادي، طبع دار الفكر بيروت، الطبعة الثالثة، (بدون تاريخ)، ونحوه من كتبه وكتب غيره.

32- سورة البقرة الأية 286

33- يوسف القرضاوي(د.), الخصائص العامة للإسلام, مكتبة وهبة بالقاهرة , ص203.

34- سورة الأحزاب, الأية 40

35- حسن أيّوب, السلوك الاجتماعي في الإسلام, طبعة دار الندرة الجديدة, ص 140وما بعدها, و ص 186وما بعدها. وكذا: أبو بكر جابر الجزائر, منهاج المسلم, ط مكتبة العلوم والحكم, المدينة المنوّرة 1421هـ . 2000م, ص 115 وما بعدها.

36- سورة النحل الآية 90

37- سورة النساء الآية 36

38- أبوبكر أحمد البيهقي، السنن الكبرى، وزارة الأوقاف المصرية، ط 1، 1344هـ ، ص 191، حديث رقم (21301).

39- أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني، مسند أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة- القاهرة، (بدون التاريخ)، ج 2/ ص 185 .

40- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي- بيروت، (بدون التاريخ)، ج 4/ ص 516.

41- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، (صحيح البخاري)، دار الشعب- القاهرة ، ط 1 ، 1407هـ - 1987م، ج 8/ ص .63

42- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة- بيروت، 1379، ج 11/ ص 11

43- سورة القصص, الأية 77

44- سورة الإسراء, الأية 37- 38

45- محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح، (صحيح البخاري)، ج 8/ ص 23.

46- أبوحامد الغزالي، إحياء علوم الدين، مطبعة الحلبي وشركاؤه، القاهرة، 1373هـ ، ج1ص51.

47- عمر محمد التومي الشيباني: من أسس التربية الإسلامية، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع،طرابلس، 1399هـ، ص329, نقلا من الباحث: خالد بن صالح محمد باجحزر(الدكتور) المذكور سابقا.